أم مارية الأثرية
د. آلاء ممدوح محمود
ليدبروا آياته

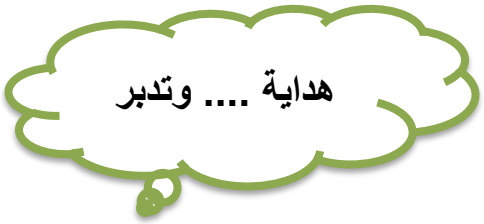

هداية .... وتدبر

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ	لما نهى الله -تبارك وتعالى- عن الجدال في الآية التي قبلها {وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ }كان ذلك مظنة للنهي عن التجارة؛ لأن التجارة يصير فيها جدال وحضور النفوس، فهي تفضي في الغالب إلى النزاع في القيمة، أو السلعة، والمماكسة والمجادلة؛ فبيّن الله أن هذه التجارة ليست بمنهي عنها في موسم الحج، ولكن الجدال هو الذي ينهى عنه. وهذه رسالة للحجاج وللبائعين في البلد الحرام وهو ألا تذهب لتشتري وتجادل وتنازع في القيمة، بل اشتريها إن أردتها بدون جدال، وإلا فاتركها، كذلك البائع عليه ألا يرفع السعر لأن هذا موسم الحج، بل الأولى تخفيض السعر ومراعاة الناس.
	وأيضًا لما أمرهم في الآية التي قبلها بتقواه، قد يظن ظان أن ذلك يمنع من طلب الرزق في الحج والتجارة في موسمه، فجاءت هذه الآية مبينة أن الأمر بالتقوى الذي قد سبق ليس بمنافٍ للتكسب والتطلب لفضل الله -تبارك وتعالى- في موسم الحج ، ما لم يشغل عن المقصود الأسمى من الحج وهو العبادة.
	ونستفيد أن الصحابة تحرجوا من أمر لم يحرم، حماية لنسكهم، فما بال أقوام ينتهكون الحمى دون تعظيم لشعائر الله وحرماته؟!، نسأل الله السلامة والعافية، فالواجب حال النسك التعظيم والإجلال وعدم مقارفة المعاصي.
	اذ أيقن العبد أن الرزق هو محض فضل من الله، واستشعر ذلك بقلبه فسيكون بيعه وشرائه مترقبًا لفضل الله -تبارك وتعالى، راجيًا له، متوكلًا عليه، دون أن يركن إلى نفسه، أو يثق بحذقه ومعرفته بألوان المكاسب، ويحمله ذلك على التحقق بأسبابه من الاستغفار والتوبة، والتقرب إليه،

	وطاعته، والانزجار عن معصيته. وما يحصل للناس من نقص في أرزاقهم إنما ذلك بسبب ذنوبهم، وتقصيرهم في حق الله -تبارك وتعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ } [سورة الأعراف:96] فهذا الإيمان والتقوى يكون سببًا لأفضال الله -تبارك وتعالى، ورزقه وقال تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ} [سورة المائدة:66] وانظروا إلى أحوال أمم كانت منعمة في القديم والحديث، والأنهار كانت تجري في تلك البلاد، ومع ذلك تحولت إلى بلاد يعمها الفقر والفوضى والخوف، والله -تبارك وتعالى- لا يظلم الناس شيئًا، ولكن الناس أنفسهم يظلمون. فما يعانيه الناس من شدة في المعايش، أو في الاقتصاد، أو غيره، فالطريق في الخروج من ذلك هو تجديد الصلة بالله والإقبال عليه، والتوبة، والاستغفار، ولزوم طاعته.
	التشريك في النية في العبادة على سبيل التبع أمر مباح، وهذا من توسعة الله -تبارك وتعالى- على عباده ورحمته بهم. حيث أباح لهم التكسب في الحج، فالله -تبارك وتعالى- جعل الكعبة البيت الحرام قيامًا للناس، وهذا القيام يشمل قيام الدين، وقيام الدنيا، فيلقى الناس بعضهم بعضًا، ويتعارفون، وينقلون أنواع التجارات، فينتفع الوافد على هذا البيت، وينتفع أهله؛ وذلك باب واسع، فهذا البيت الحرام يتمنى الناس القرب منه، ويمكن أن تأتي بأدق التخصصات في العالم والخبرات في جميع المجالات، والأذكياء والنابغين وينشرون العلم بتخصصاته المختلفة، ولا يطلبون كثيرًا من المال كل ذلك من أجل هذا البيت، وهم مغتبطون بذلك.
	وفيها أيضًا ربط الأسباب بالمسببات: فالله -تبارك وتعالى- لو شاء لأنزل الرزق على عباده من غير كد ولا تعب، ولكنه جعل لذلك أسبابًا بالتجارة، ونحوها، فأباح لهم ذلك، وهم في حال العبادة أيضًا، مما يدل على أن هذا الدين لا يجعل من أهله قاعدين، لا يعملون، ولا يجدون، ولا يأخذون بأسباب القوة، وإنما هم أهل عبادة، وأهل جد وعمل بالأسباب.
فَإِذَا أَفَضْتُمْ	لابد من ذكر الله وشكره على نعائمه، ان بين لنا طريق

الهداية المشروع والذكر المشروع، والعبادة المشروعة، ومناسك الحج على ملة إبراهيم بعد أن غير المشركون فيها وبدلوا، وهدانا أيضًا إلى الدين الصحيح، ووفقكم لاتباعه، فهذا كله فضل من الله -تبارك وتعالى- يتطلب ذكرًا وشكرًا.	**مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ**
كما تفيض الأنهار بالمياه الطاهرة العذبة تفيض عرفة بأرواح الحجيج بعد طهرها المشعر الحرام -وهو مزدلفة- موضع للذكر والحج، وإنما أقيم الطواف والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار، ونحو ذلك لإقامة ذكر الله -تبارك وتعالى، فينبغي أن يكثر العبد من ذكر الله في الحج، ومن مواطن الذكر: عند المشعر الحرام في مزدلفة، وذلك بعد صلاة الصبح حيث صلاها النبي ﷺ بغلس يعني في أول الصبح في الظلام، قبل أن يسفر، ثم رفع يديه، وجعل يذكر ويدعو حتى أسفر جدًا، ثم انصرف إلى منى قبل طلوع الشمس، فهذا من مواطن الذكر التي ينبغي الحرص عليها، ولا يشغله عن ذلك تسارع الناس للخروج، ونحو هذا، فإن مثل هذه المقامات ينبغي أن يحرص العبد عليها، إلا إذا كان معه ضعفة يخشى عليهم.	
الذكر المشروع هو الذكر الذي شرعه الله -تبارك وتعالى، {وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ} فإن الله لا يعبد إلا بما شرع، فليس لأحد أن يخترع من عنده أورادًا وأذكارًا، ويشتغل بها ويوقت لذلك أوقاتًا، أو مواضع، أو أحوال.	
{وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ} يعني في مقابل هدايته لكم، فكان اللائق أن تذكروه، فيكون هذا الذكر من قبيل الشكر، وكذلك هدانا لدين الإسلام، كأنه يقول: إنما أمرتكم بهذا الذكر لتكونوا شاكرين لتلك النعمة.	
أن عرفة هي مقام للذكر والدعاء، وقد وقف النبي ﷺ بعد ما صلى الظهر والعصر جمعًا وقصرًا جمع تقديم، عند الصخرات، مستقبلاً القبلة، ورفع يديه حتى غابت الشمس، وهو على راحته ﷺ، ومع ذلك إذا انصرفوا من عرفات انصرفوا من ذكر وطاعة وعبادة عظيمة جدًا، الي عبادة وذكر وطاعة، فهذه المواسم مع ما فيها من الذكر والعبادة إلا أن ذلك لا يعني أن يتوقف العبد عن ذكر الله فيها، فهو يذكره	

	في الطريق ملبيًا ومكبرًا ومهللاً، وكذلك يذكره في هذه المواضع التي يشرع فيها الذكر. فكيف بالذين يتسوقون ويتنزهون ويذهبون الى زيارة المعالم على اعتبار أن الحج رحلة سياحية؟! نعوذ بالله من الغفلة
وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ	تذكير الإنسان بحاله السابقة، فلا تقل: أنا مستقيم ومتدين وملتزم، وأنا حججت عشرات المرات، وأنا لا يفوتني الموسم ونحو ذلك، لا بد أن يستحضر الإنسان نعمة الله عليه، بأن هداه ووفقه وألهمه رشده، ويسأل ربه القبول والثبات، والقلب بين أصبعين من أصابع الرحمن، وكان النبي ﷺ يكثر أن يقول في سجوده: {يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك}، فلا يزال العبد مخبتًا يخاف على نفسه من أن ينصرف قلبه عن الحق، فلا يكون في قلبه أدنى التفات إلى نفسه وعمله، فيكون معجبًا فيحبط هذا العمل.
	تَذكَّر الضلال بعد الهداية والجهل بعد العلم يكسر النفس لله فمن هداها قادر على إزاغتها (واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين)
ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ	قريش أرادت أن تتميز عن بقية الحجاج، فيكون لهم وقوف خاص فأنزل الله هذه الآية ليبين أنه لا تميز في الحج، الناس جميعًا يتجردون من كل لباس، سوى لباس الإحرام الذي يشبه الكفن، رداء وإزار، يستوي فيه الفقير والغني، ولا يُطلب في الحج التميز على الناس بشيء من الأمور، وإنما يكون سعي العبد وبذله وجهده وعنايته بالإخبات والتقوى والتواضع والتذلل والذكر والعبادة لله -تبارك وتعالى، أما أن يتميز بأعمال دون الآخرين، فهذا لاوجود له في الحج، فلتتجرد النفوس من كل حظ، فذلك مقام لا يصلح فيه إلا الذل لله رب العالمين، فحال الناس واحدة في حج بيت الله الحرام، سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ [سورة الحج:25].
	مخالفة الإسلام لأعمال الجاهلية، والمسائل التي خالف فيها النبي ﷺ أهل الجاهلية، قد جمعها الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في رسالة مستقلة، ففي هذا المقام في الإفاضة خالفهم الشرع
وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ	سُئل الحسن البصري : ما علامة حب الله ؟ قال : " أن يذنب العبد فيلهمه الاستغفار"

غَفُورٌ رَحِيمٌ	اسألوا الله أن يغفر لكم ذنوبكم، وأن يستر عيوبكم، وأن يتجاوز عن السيئات. وهنا ذكر العلة، فقال: {إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} أي: استغفروه؛ لأنه الغفور هو كثير الغفر، والرحيم هو كثير الرحمة، فاستغفروه واطلبوا المغفرة؛ لأن السين والتاء للطلب، فاطلبوا المغفرة منه والرحمة، فإنه غفور رحيم. النبي ﷺ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه، وما تأخر قطعًا، ومع ذلك يستغفر في المجلس الواحد، أو في اليوم والليلة مائة مرة، وكان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه، ويقول: أفلا أكون عبدًا شكورًا بعد الوقوف بعرفة يأمرهم بالاستغفار، فالحاج بعرفة يدعو الله ويبتهل إليه ويذكره، وينزل ربنا -تبارك وتعالى- عشية عرفة، وهو موضع مظنة للعتق من النار، ومغفرة الذنوب، وما رؤي الشيطان أصغر، ولا أحقر منه في يوم عرفة، ومع ذلك ففي هذا اليوم الذي هو مظنة أن يقال للناس: انصرفوا مغفورًا لكم، يقول: {وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ} فالعبد لا يستغني عن الاستغفار؛ لأنه مهما فعل، وتقرب، وعمل، وبذل وأحسن وأنفق، فإنه لا يؤدي شكر نعمة الله عليه، لا في دينه، ولا في دنياه. فلو نظر الإنسان إلى هذه النعم من طعام وشراب وسلامة أعضاء ورزق وأولاد وغيرها من النعائم التي يعجز عن شكرها فيحتاج دائمًا إلى استغفار، وشعور بأنه ما وفى بشكرها، فيحتاج إلى مغفرة. كذلك هذه الأعمال والعبادات العظيمة والدعاء والذكر يعتريها تقصير، وربما يحصل شيء من الالتفات إلى النفس، والإعجاب بالعمل، فهنا يحتاج إلى استغفار، وشكر لله بأن هداه وأنعم عليه، ووفقه فحج، وأن الله يسر له هذا العمل وبلغه، فهو لا يؤدي شكر هذه النعم، فأمرهم بالاستغفار وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ والاستغفار سبب لغفران الذنوب، وجلب النعم، والمطالب الدينية، والدنيوية فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا [سورة

	نوح:10-12] فهل تُحصل المطالب إلا بالاستغفار؟ والعبد حينما يعرف قدره، ويعرف ربه، فإنه لا يسعه إلا أن يلهج بالاستغفار قائمًا وقاعدًا وعلى جنب، من هذا التقصير، لكن الجاهل ربما يعمل عملاً ولو يسيرًا، ويرى أنه قد قام بكل شيء، فيعجب بعمله، ويتحدث عن نفسه، ويصور نفسه في تلك المقامات والأعمال والحج، وفي كل ناحية، أين هذا من الإخبات والانكسار والذل والاستغفار؟ الله أمرنا بالإستغفار في أعظم المواضع والعبادات بعد الصلاة -وهل شيء أعظم من الصلاة الركن الأول بعد الشهادتين؟- كان النبي ﷺ إذا انصرف من الصلاة استغفر ثلاثًا، فأول الذكر الذي يقال بعد الصلاة الاستغفار، وهكذا بعد قيام الليل الطويل، يقوم الليل ويستغفر في السحر، وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ [سورة آل عمران:17] يستغفر أنه ما قام بما يليق وينبغي في حق هذا الرب العظيم الكريم الحليم المتفضل الذي قد غمرنا بالألطاف التي لا نحصيها ولا نعدها
	قرن الحكم بالعلة، وهذا كثير في القرآن، لكنه في هذا الموضع يبعث على الإقدام، والإقبال والتشمير في اللهج بالاستغفار، فلا مجال لليأس والقنوط من رحمة الله، مهما تعاظمت الذنوب، فاستغفروه فهو غفور رحيم جاء عن وهيب بن الورد -رحمه الله- أنه قرأ: وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [سورة البقرة:127] ثم بكى، وقال: يا خليل الرحمن ترفع قوائم بيت الرحمن، وأنت مشفق أن لا يُتقبَّل منك، أجل عمل يقوم به خليل الرحمن، ويقول: يا رب تقبل منا إنك أنت السميع العليم، فأين هذا من الذي ضمن قبول الحج، وضمن أنه قد غفر له، وعند نفسه أنه يفعل ما شاء، ثم يحج، وكذلك الذي يسأل إذا كان يوم عرفة يكفِّر سنة ماضية وسنة آتية فلماذا نصوم عاشوراء؟ فهذا يستكثر يصوم يومًا واحدًا، هو لا يعلم هل قُبل منه صوم عرفة أصلاً، أو رُد عليه، هذه ليست بحال من عرف ربه!
	آيات الحج أتت بهذا الترتيب: فبدأت بعبادة الجوارح والعبادة

	والنسك ثم عبادة اللسان من ذكر الله واستحضار القلب فيه فيجمع بين عبادة الله بالقلب واللسان والجوارح، ثم السؤال والدعاء، فمن حقق ذلك إذا رفع يديه وقال: يا رب، فإن دعاءه لا يكاد يرُد، فإن من عرف الله -تبارك وتعالى- في السراء عرفه الله في الضراء، كما قال النبي: {احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إليه في الرخاء، يعرفك في الشدة} الله سبحانه وتعالى يربي نفوسنا بهذه العبادات المتنوعة، فنتنقل من عبادة إلى عبادة، ومن عبادة إلى ذكر، إلى سؤال ودعاء، وبهذا يحصل كمال العبودية.
فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ	**حاجتنا لذكر الله أشد من حاجة الصبي لأبيه** فالذكر هو لب الحج، فإن الحج وأعماله الحج إنما شرعت لإقامة ذكر الله -تبارك وتعالى، وكما في قوله:{ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ} [سورة البقرة:203] وفي قوله:{ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ }[سورة الحج:28] الأيام المعلومات هي العشر من ذي الحجة، والمعدودات هي أيام التشريق، وقد سئل النبي ﷺ: أي الحج أفضل؟ قال: {العج والثج} والعج: هو رفع الصوت بالتلبية، والثج: هو نحر البدن، وذبح الهدي، فهذا أفضل الحج.
	تنقضي الشعائر وترحل المواسم والله خالد في القلوب العبادات تنقضي، والحج له منتهى، وأعماله محدودة، ولكن الذكر لا ينقضي، فالذكر على الدوام، {فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللهَ }فالفاء تدل على التعقيب والمباشرة، فلا توقف ولا انقطاع ولا غفلة، وإنما هو ذكر دائم مستمر؛ ولهذا لم يرد في شيء من العبادات الأمر بشيء منها مقترنًا بالكثرة إلا الذكر فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً} [سورة الأحزاب:41، 42]، وقال: وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ [سورة الأحزاب:35]
فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا	**عجيب شأن جسرة البعض ؛ يلح على الله بدنياه وهو مضيع أخراه** أن الناس ليسوا في الطاعة سواء، فمن الناس من ليس له هم إلا الدنيا، فهو يعمل من أجلها، حتى لو قام بشيء من

	العبادات، فهو يطلب عائدتها الدنيوية، فهو إن صام لأن الصيام فيه صحة البدن كما يقول الأطباء، وإن زكى من أجل أن ينمو ماله على اعتبار أن الله وعد بالخلف، وإن كان في صلة رحم فذلك من أجل أن يحمدوه على ذلك ويقوي علاقته بأهله، وأن ينسأ له في أثره، فالتفكير ليس في الثواب الأخروي بل للنفع الدنيوي فقط.
	قرن الذكر بالدعاء إشارة إلى أن المعتبر من الذكر ما يكون عن قلب حاضر والذكر هو مقدمة للسؤال والدعاء فالداعي حينما يطلب حاجة فإنه يستحضر ذلك بقلبه ويقصده؛ ولذلك ابتدأ بالذكر {فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ} والذكر هو مقدمة للسؤال والدعاء، لذا في الفاتحة الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [سورة الفاتحة:2] فهذا حمد، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ [سورة الفاتحة:3] هذا ثناء؛ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ [سورة الفاتحة:3-4] هذا التمجيد، والتمجيد يعني الكثرة بأوصاف الكمال ثم دعى اهدنا الصراط المستقيم ..
وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ	**العبد لا غنى له عن ربه بحال من الأحوال، فهو بحاجة إلى أن يسأله مطالبه الدينية والدنيوية والأخروية.** فإذا نظرنا إلى موسى عليه السلام فقد سأل أجل الأشياء فقال: {رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ} [سورة الأعراف:143] وسأل أقل الأشياء، فقال: {رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ }[سورة القصص:24] يعني كان بحاجة إلى طعام، ومأوى، فعرَّض بالسؤال بعد أن سقى للمرأتين. فنحن نسأل أجل الأشياء، وهي خيرات الآخرة، وأقل الأشياء من أمور الدنيا، فنقول: ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار يقول ثابت البناني -رحمه الله: أنه قال لأنس -رضي الله عنه: إن إخوانك يحبون أن تدعو لهم، فقال: اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، فأعاد عليه ثابت، يعني يريد سؤالاً فيه تفصيل، فقال: تريدون أن أشقق لكم الأمور، إذا آتاكم الله في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، ووقاكم عذاب النار، فقد آتاكم الخير كله. ولهذا أنكر من أنكر من الصحابة والسلف على من كان يتكلف في الدعاء، {عبدَ اللَّهِ بنَ مُغفَّلٍ، سمعَ ابنَهُ يقولُ: اللَّهمَّ

	إنّي أسألُكَ القَصرَ الأبيضَ، عن يمينِ الجنَّةِ إذا دخلتُها، فقالَ: أي بُنَيَّ، سلِ اللَّهَ الجنَّةَ، وتعوَّذ بِهِ منَ النَّارِ، فإنِّي سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ: إنَّهُ سيَكونُ في هذِهِ الأمَّةِ قومٌ يَعتدونَ في الطَّهورِ والدُّعاءِ فإيَّاكَ أن تَكونَ منهُم إنَّكَ إن أُعطيتَ الجنَّةَ أُعطيتَها وما فيها منَ الخيرِ وإن أُعِذتَ منَ النَّارِ أُعِذتَ منها وما فيها منَ الشَّرِّ }، فإذا دخل الإنسان الجنة فعند ذلك يجد فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فهذا التكلف الذي أولع به كثير من الأئمة في قنوتهم في صلاة التراويح، ونحو ذلك، فمثل هذا لا يشرع، وإنما يُدعا بالجوامع من الكلم، مما جاء في كتاب الله، أو سنة رسول الله ﷺ
	رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً: هذا يدل على أن الإسلام لا يُعطل الدنيا، ولا يطلب من أتباعه أن يشتغلوا بالآخرة مع تعطيل الدنيا، ولكن يستعينون بالدنيا في سفرهم وسيرهم إلى الله - تبارك وتعالى، لأنها موضع المعاش، فهي مرحلة إلى الآخرة، فيأخذ الإنسان منها ما يقويه، ويحقق مصلحته، ويستغني به عن عدوه، فيعمر الدنيا على وفق ما شرعه الله، فتكون عمارة لاتنسي الآخرة ولا السفر إلى الله؛ بخلاف من يرون أن الاشتغال في عمارة الدنيا، وعمارة الأرض أنه هو المطلب، وأنه هو الذي ينبغي أن توجه إليه الهمم، وهذا غلط، فالله يقول: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ }[سورة الذاريات:56] فهذا للآباء والأمهات لابد أن يربوا أبناءهم على العبادة والنظر إلى الأخرة لا الدنيا، فلاتقل له ذاكر واجتهد لتحصل على أعلى الدرجات لتصبح طبيب أو مهندس ويشار إليك بالبنان بأنك في كليات القمة، هذا لايصح، بل قل له ذاكر وادرس لنفع الإسلام والمسلمين، وعمارة الأرض بطاعة الله.
وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ	هذا فيه إثبات صفة السرعة لله، وقد قيل لعلي كيف يحاسب الله الناس على كثرتهم؟ قال: كما يرزقهم على كثرتهم. بالمثال يتضح المقال ولله المثل الاعلى: لو أن أحدًا يعطي خلقًا كثيرًا أموالًا فيحتاج إلى وقت كثير ليعطيهم وقد يستغرق أيام وما أعطاهم جميعًا، ولكن الله -تبارك وتعالى- يرزق الناس كنفس واحدة، وهكذا يحاسبهم على أعمالهم كنفس

	واحدة. فهذه الآية تقرر مفاهيم عظيمة، فالعبد يستحي أن يشتغل في دعائه بطلب الدنيا دون ذكر الآخرة، يقول: يا رب ارزقني، يا رب أعطني في الدنيا، يا رب يسر لي كذا من المطالب الدنيوية، ولا يسأل شيئًا من المطالب الأخروية، هذا لا يليق بحال من الأحوال، فكيف لو أنه سخر عمله الصالح من أجل مطالب دنيوية، فهو يقرأ القرآن من أجل بركته، وهو يتصدق من أجل أن يدفع عن نفسه البلاء مثلاً، أو نحو ذلك، فهذا غلط، فهذا كما قال الله -عز وجل: مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ ۝ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [سورة هود: 15، 16] . فالأذكار، والصلاة، وقراءة القرآن والصدقة يقصد بها التقرب إلى الله، وإن حصل ثواب دنيوي يكون على سبيل التبع لا أن يكون هو المقصد الأساسي، كما قال الله: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ }[سورة البقرة:198] نحن نسجد نُعبِّد أنفسنا لله ونتذلل ونخضع له بوضع أعلى وأجل وأشرف شيء على الأرض، ونقول: سبحان ربي الأعلى، وليس لتفريغ شحنات، أو لضبط المفاصل، كذلك لايصح أن نرغب الناس في الطاعة بهذه الطريقة، ونحول العبادات إلى مطالب جسدية ، فالمطالب الجسدية ننوي بها طاعات، فنحن نأكل من أجل نتقوى على الطاعة، وكما جاء في الحديث: وفي بضع أحدكم صدقة، ويأتي الإنسان شهوته من أجل أن يعف نفسه، ويطلب الولد، كما قال الله {وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ } وهو الولد